الفاعل في العربية من المنظور النحوي إلى البعد التداولي

The subject in Arabic from a grammatical perspective to a pragmatic dimension

محمد زهار

جامعة المسيلة (الجزائر).mohammed.zehar@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024 / 07 /15	2024 / 09 / 11	2024 / 12 / 01

ملخص البحث

بدأت الدراسات اللغوية عند العرب خدمة للقرآن الكريم، و فهم نصوصه لعصمة اللسان من اللحن، فكان محور، وركيزة علوم العربية، والأساس الذي قام عليه المشروع اللغوي في تراثنا العربي، و من بين علوم العربية التي سجلت لها الخلود علم النحو الذي تشعبت موضوعاته، و تعددت مباحثه منها بناء الجملة وأنواعها و سماتها، و خصائصها الأسلوبية، ومن موضوعات البحث تحديدا مبحث الفاعل الذي يعدّ من أركان الجملة العربية، و أساسياتها التركيبية، وخصائصها البلاغية، وما تضمّنه المسند إليه من سمات فنية، و أبعاد تداولية فجاءت هذه الورقة البحثية تعالج موضوع الفاعل من منطلق أنه الأساس الذي تقوم عليه العلاقة الإسنادية بما تحويه من وظائف إعرابية، وفنية، مع الإشارة إلى مصطلح الفاعل النحوية، ووظائفه التداولية و ذلك من خلال النماذج اللغوية التي حفلت بها كتب التراث، فالفاعل في العربية ظاهرة نحوية، وتركيبية متنوعة ترتبط ارتباطا بالمقام، و أحوال المخاطبين ما يجعله درسا ثريا مع إعادة توصيفه تداوليا.

الكلمات المفاتيح: الفاعل-الخصائص النحوية -الإسناد– المطابقة-التداولية .

Abstract

Linguistic studies on the Arabs began with reading the Holy Qur'an, understanding the core of the roots of their existence and the basis for them. One of the means of guaranteeing them was a group of sciences that guaranteed their immortality. By that we mean the science of grammar, whose topics were diverse, including the topic of the sentence in the Arabic language. I decided to delve into The topic of the subject is one of the topics that draws attention to the student in its compositional field, rhetorical characteristics, and pragmatic characteristics, and that is done by examining the texts of the Holy because of its extreme importance through the elements of its compositions, where the subject in the sentence is the basis on which it is based. It has the attributive relationship. Since ancient times, Arabic grammar has been characterized by difficulty for learners of the Arabic language, and perhaps this difficulty is due to its broad terminology

keywords: Linguistic studies- guaranteeing Arabic language pragmatic characteristics

1. مقدمة:

تعد المقاربة التداولية من أحدث النظريات اللسانية التي أثمرها القرن العشرين في دراسة اللغة حين ركزت على الوظيفة الأساس المتمثلة في الاستعمال، والتواصل، وتناولها من حيث علاقتها بالمتلقي، واستعمالها بغية الوصول إلى وضعها الوظيفي مع معرفة مختلف القدرات اللغوية، و الدلالية أثناء العملية التواصلية، لأن معاني اللغة لا تكمن في دلالاتها المعجمية فحسب، بل أيضا في مختلف الوضعيات الاجتماعية، و الثقافية ليتمكن المتكلم من توظيف مختلف المعارف اللغوية، والنحوية على وجه التحديد بطريقة فنية جميلة، و من ثم يستطيع التكيّف مع المواقف التواصلية في حياته اليومية .

إن المقاربة التداولية إجراء متكامل يعمل على كشف الجوانب الخفية التي يتضمنها للخطاب من خلال ما تتيحه اللغة من إمكانات للظفر بالدلالة الكاملة في النص ذاته، وفي نفسية منتجه و متلقيه، وفي عناصر السياق المختلفة التي تحيط بعملية انجازه، وأدائه كون المقاربة التداولية لا تترك للمتكلم أو المنتج للغة مجالا للشك في استثمار فاعليتها لتفجير الطاقة الكامنة في الخطاب[1].

من خلال ذلك فقد أجمع علماء اللغة القدماء و المحدثون و حتى المعاصرون على أن الجملة النحوية في اللغة العربية، والجملة الفعلية على وجه الخصوص تقوم على نمط، و تركيب متميزين ينضوي تحتهما العديد من الأسرار البلاغية، وتتحدد فيه مختلف أشكال، و صور الإعجاز البياني وذلك من خلال ممارسة القدماء المتأصلة لمختلف التراكيب النحوية المدوّنة في متون اللغة العربية، كما أن للجملة النحوية خصوصيات دلالية تتفرد بها، و خصائص فنية تتميّز بها، و كان توجيه النحاة الإعراب في العديد من النصوص اللغوية التي تحتمل أكثر من وظيفة إعرابية جانبا مهما في إثراء علوم اللغة نحوا، و تفسيرا، و بلاغة، و ذلك للكشف عن خصائص ووظائف النحو كمعنى الفاعلية من حركة إعرابية، رتبة، و غيرها من منطلق الاستعمال الفعلي، لذلك كانت المقاربة التداولية و إجراءاتها التطبيقية من المحاور المعرفية الهامة التي اهتم بها علماؤنا الأوائل، فهي إجراء تتداخل فيه مختلف الوظائف النحوية، و انزياحاتها السياقية التي بفضلها -أي المقاربة التداولية- يتم التواصل اللغوي، ويؤدى الخطاب اللغوي أبعاده التواصلية حتى تتحقق الفصاحة ومن الشروط الضرورية لتحقيق تلك الفصاحة أثناء التواصل التخاطبي . و المجال الذي يكشف للقارئ أهم الخصائص التداولية لوظيفة الفاعل في الدرس النحوي، وأداءاته لتحقيق الاستعمال الفعلي لمعنى الفاعلية .

إن لوظيفة الفاعلية دلالات و كذا آداءآت تتنوع بتنوع المقامات، والسياقات اللغوية، و غير اللغوية، فمنها ما يتعلق بالوضع التركيبي ومنها ما يتعلق بالتوظيف الفعلي المرتبط أشد الارتباط بالمنحى التداولي.

لقد جاء الاتجاه التداولي في مقاربة النصوص الأدبية من خلال اهتمام هذا الاتجاه اللساني بكل عناصر الموقف التواصلي من مرسل، و متلقي، ونص، وظروف محيطة بإنجاز هذا الخطاب بحيث تغيّر بذلك اتجاه مجرى الدراسات التركيبية التي كانت مقتصرة على البنية المجردة في كيفية استعمال العبارة اللغوية إلى اتجاه البحث في هذه البنية للتمكن من انجاز العبارة في ظروفها المناسبة.[2]

2. مفهوم التداولية

يرى علماء البلاغة أن الحديث عن التداولية و علاقتها بالبلاغة العربية حديثٌ قديم يذهب بنا إلى نشأة العلوم وعلاقتها بالمنطق، و الفلسفة اليونانية، فالبلاغة علم متجذر في القدم لأنه يرتبط أساسا بوجود الإنسان، وتواصله مع الآخرين في مختلف الحضارات، و في التراث العربي، وقد تطور علم البلاغة لتطور الفكر الإنساني حتى وصل إلينا في العصر الحديث، و المعاصر وأصبح يعرف بعلم البلاغة الجديد مقابلا لمصطلح علم البلاغة القديم حيث نلمس من خلال هذا الفن اللغوي تجديدا في المفاهيم، و توظيفا في المصطلحات لما لاحظه المتخصصون من تشابك بين هذا العلم، وبين ما يعرف بالأسلوبية في المناهج النقدية، واللسانية المعاصرة كالسيميائية والتداولية، وقد أدرك الدارسون تلك العلاقة بين البلاغة، والتداولية من منظور معرفي، فإذا كانت البلاغة هي معرفة اللغة أثناء الاستعمال، فإن التداولية تهتم باللغة أثناء الاستعمال فهما علمان يتقاطعان في اعتمادهما على اللغة كوسيلة للتواصل.[3] في مختلف سياقاتها المقامية من مبدأ أن اللغةَ وسيلةٌ للتواصل والتعبير عن الأغراض. في ظروفها النفسية، و الاجتماعية.[4] وحتى نوضح علاقة البلاغة بالتداولية علينا تحديد مفهوم مصطلحي البلاغة، و التداولية و مواطن الالتقاء بين العلمين باختصار.

3.مفهوم البلاغة :

تجمع معاجم اللغة على أن دلالة البلاغة هي الوصول، و الانتهاء، فقد جاء في لسان العرب **مادة (ب-ل-غ)** (يبلغ بلوغًا وَصَل و انتهى) ،و قولهم: (أَبلَغَهُ إبلاَغًا و تبليغًا) إذا اجتهد في الأمر و منه قوله تعالى "هَذَا بَلاَغٌ للنَاسِ وَ لْينذَرُوا بهِ " (إبراهيم 51) و في دلالة ،و معنى (بَلَغَ الفَارِسُ) إذا مدّ يده بعنان فرسه ليزيد في جريه، و منه (بَلَغَ النَبتُ ،انتهى)،و (بَلَغَتِ النخلَةُ) حان إدراك ثمارها، و منها (رَجُلٌ بَليغٌ) حسن الكلام فصيحه[5] .

كما ورد في معجم الوسيط أن البلاغة من الفعل (بَلَغَ) و منها (حكمةٌ بالغَةٌ)،و (بلُوغًا) أي وصولا للمبتغى والانتهاء إليه،[6]. و هذا المعنى اللغوي يقارب الدلالة الاصطلاحية لمفهوم البلاغة، فهي في الاصطلاح مطابقة الكلام الفصيح بمقتضى الحال أي حسن البيان، و الإفصاح مع توخي دقة اختيار الكلمات، و الأساليب وفق مواطن الكلام ساعيةً إلى التأثير في السامع، أي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال محققة الفصاحة . من خلال هذا يتبيّن لنا أن مفهوم البلاغة هو الوصول إلى تبليغ المراد كما تسعى إلى تقريب المعاني، و الدلالات إلى قلب السامع، فيتحقق الفهم.[7]، ومطابقة الحال وفق عقول المخاطبين مع الأخذ بالاعتبار طبقاتهم في البيان و قوة المنطق[8].

إن علم البلاغة في التراث اللغوي يقوم على الخبر والإنشاء، فإذا كان معنى الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق و الكذب، و أركانه الفعل و الفاعل، أو المسند و المسند إليه، و كان الغرض منه هو تحقيق الفائدة للمخاطب، فإن دلالة الإنشاء هو الكلام الذي ينجزه المتكلم مع عدم الحكم عليه بالصدق، أو الكذب. و هو الذي تنشده البلاغة حين تعرضت لأنواع أساليب العربية على أن الإنشاء كلام لا يحتمل الصدق، ولا الكذب[9].

أما عن أقسام الإنشاء فينقسم إلى إنشاء طلبي، و غير طلبي، فالطلبي، كالنداء، وغير الطلبي كصيغ المدح والتعجب، والذم، وصيغ العقود، و البيع، و الشراء والزواج، والطلاق وغيرهما من الصيغ[10] .

وإذا كانت دلالة البلاغة في التراث العربي تقوم على مبدأ الإقناع، والتأثير في المتلقّين، فما مفهوم التداولية عند الغربيين، و العرب المعاصرين .

4.علاقة البعد التداولي بالدرس البلاغي:

إن للتداولية العديد من المصطلحات لم يتم الاتفاق عليها سواء عند الغربيين أو عند المتخصصين العرب منها من يطلق عليها الذرائعية، والبراغماتية، والنفعية وغيرها، وتجمع كل الدراسات السابقة إلى أن "شارل موريس"-**CHARLE MORRIS** الفيلسوف الأمريكي هو الذي نظّر لهذا العلم عام 1938، في كتابه الموسوم" **أسس نظرية العلامات**" حيث عرف هذا الاتجاه اللساني بقوله : "إن التداولية هي في حقيقة أمرها دراسة العلاقة بين العلامات و المستعملين"[11]، ولقد استحضر التداوليون الجانب التركيبي، والدلالي بحكم الاستعمال الوظيفي للغة مستأنسين بالعنصر التفاعلي الذي يقوم على دراسة اللغة في الاستعمال[12] ، أي دراسة علاقة العلامات بمفسريها. فإذا كان علم السيميولوجيا يهتم بدراسة الدوال و المدلولات، و العلاقة بينهما فإن التداولية تبحث في مختلف الاستعمالات لمختلف الدوال.

5. التداولية و ارتباطها بالظاهرة الإسنادية:

يعد مظهر الإسناد من منظور التداوليين، بؤرة الارتباط في التركيب النحوي إلاّ أن بقية علاقات الارتباط إنما هي بيان لها، حيث تكون العلاقة إما بين المبتدأ و الخبر في التركيب الاسمي، أو بين الفعل و الفاعل في التركيب الفعلي، أو بين كل ما يعمل عمل الفعل و فاعله كالمصادر، و المشتقات عموما. و قد تطرق النحاة لتلك الظاهرة التركيبية في العديد من المقولات النحوية فعند سيبويه يقول:"لا يغني أحدهما عن الآخر، و لا يجد المتكلم منه بدا"[13].

و المتصفح في التراث النحوي يلمس بُعدَ النظر لدى النحاة القدامى حين استشعروا وجود طاقة معنوية تمثّل قوة جذب معنوية للوحدات اللغوية الناشئة من معاني النحو، و دقة الدلالة لتحقيق الفائدة لدى المتلقين مع التأثير عليهم، و إقناعهم بمحتوي الرسالة[14]، فهذا التفكير يعد بعدا هاما من أبعاد الدرس التداولي المعاصر و ما تلعبه الإحالات في تبيين المعاني و تحديدها في مختلف التراكيب النحوية من خلال استثمار السياق المرتبط بالمقولات[15]..

من هنا يمكن القول : أن التداولية نظرية لسانية من حيث بعدها اللساني حيث تتناول اللغة في إطار استعمالها أثناء العملية التواصلية، فهي تهتم بالإنجاز المرتبط بظروف المتكلم، والسامع، ومن خلال ذلك أيضا فهي تصف، وتفسّر مختلف الاستعمالات التي يرسلها المتكلم مع عدوله أحيانا عن بعض المعايير التي وضعها النحاة[16].

6.أسس الممارسة التداولية:

تقر الدراسات الأكاديمية في المجال التداولي أن نظرية أفعال الكلام قد تبلورت على يد اللغوي البريطاني "أوستين" ثم بعث تلك المقاربة تلميذه "سيرل" الذي عمل على تطويرها، و تصحيح الاختلالات التي ظهرت فيها، كما حدد المفاهيم الأساس للدرس التداولي، منها أن الفعل الكلامي هو الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا إنجازيا بعينه، كالأمر والطلب، وغاية كل ذلك طبعا التعبير عن حال المخاطبين[17]، فالفعل الكلامي على نوعين مباشر، و غير مباشر، أي هي جملة التقاطعات المعرفية التي تعرّض لها التراث البلاغي العربي في مبحثي الخبر والإنشاء، و هي ذاتها تتقاطع مع البعد التداولي المعاصر ،فقد قسّم أوستين مثلا

العبارات التلفظية إلى : تلفظات وصفية، وأخرى انجازيه قائلا :" إن الأولى يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق، أو الكذب، وأّما الثانية فيمكن الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق"[18]. والحقيقة أن هذا التصنيف هو تصنيف بلاغي خالص عند علماء البلاغة العرب لأن ما أسماه "أوستين" بالعبارات الوصفية هو نفسه ما يعرف في البلاغة العربية بالأسلوب الخبري ، في حين أن ما أسماه بالعبارات الإنجازية هو ذاته ما يطلق عليه أيضا في تراثنا البلاغي القديم بالأسلوب الإنشائي، و هذا ما يثبت وجود تقاطع معرفي و لغوي متبادل بين مختلف الثقافات الإنسانية.

إن الحقول المعرفية كثيرة ومتعددة ولعل ما يميّز تلك الحقول مجموع العلائق والحوارات التي يمارسها حقل مع آخر، أو مع مجموعة من الحقول التي قد تقاربه، أو تماثله أو تساهم معه في الفكرة، أو المبدأ أو التصور و ما يمكن أن يفيده مع الحقل البلاغي العربي بوصفه حقلا معرفيّا قديما، وحقل التداوليّة بوصفه درسا حديثا في مجال المعرفة الإنسانيّة[19].

من هنا يمكن القول أن البلاغة كإجراء تخاطبي هو محور فني فصيح يقوم على الإقناع بتقنياته و ذلك بتوفير مختلف الحجج، و البراهين ومعالجتها، وقد تتقاطع مع الدرس التداولي في ارتباطها بمستويات الإقناع و يبقى مدلول التداولية في التراث الغربي، و العربي أيضا يقوم على مظاهر الحجاج الإقناعي، و المعنى التعبيري الذي يلمح للأسلوبية. و هو ما يعبر عنه في التراث البلاغي العربي بمباحث المعاني، والبديع، و البيان .

إن اللافت للانتباه أن جلّ علماء البلاغة العرب قد تنبهوا لتلك العلاقة الوطيدة بين البحوث البلاغية التراثية و الدرس التداولي المعاصر أثناء العملية التواصلية التخاطبية مشيرين لقيمة المقام أثناء الإنجاز اللغوي و الأثر الإقناعي الذي يتركه الخطاب في السامعين، فالباحث في الدرس البلاغي يلحظ تلك العلاقة التقاربية في العديد من مباحث البلاغة من جهة، و من جهة أخرى ما جاء به الدرس التداولي و ما أشارت إليه المرتكزات التي يقوم عليها و نظريات أفعال الكلام من أن العلمين ينطلقان من اللغة كوسيلة للإبلاغ و التفاهم، وتحقيق الأغراض و ذلك بالتأثير على المتلقي، فالنص اللغوي إنما هو خطاب مبني على استحضار المواقف محققا ذلك التداخل بين مباحث البلاغة من جهة، و مباحث التداولية و علم اللغة من جهة أخرى، وإذا كانت البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال سواء أكان الفعل الكلامي خبرا أم إنشاء، أو كان الغرض مجازيا،أي خروج الأسلوب إلى دلالات سياقية، و أغراض بلاغية غير تلك التي أنشئ لها، ومخالفة الكلام لمقتضى الواقع، فإن الدرس التداولي يتناول المعنى الظاهر للفعل الكلامي المباشر، و التصريح، و مطابقة القوة الانجازية لما يريده المتكلم.

7. أشكال المقاربة التداولية في منظور البلاغيين العرب:

تؤكد البحوث و المصنفات العربية في مجال الدرس البلاغي أن المتكلم له الدور البارز في إنتاج الخطاب وهو الذي يستطيع تحديد الدلالة من الكلام، فالمعنى مرتبط ارتباطا كاملا بما ينويه المخاطِب، وهذا ما نلمسه في العديد من المقولات اللغوية في تراثنا العربي، فقد أعطى البلاغيون قيمة متميّزة للعناصر

التي تسهم في تحديد دلالة، و قصد المنتج للغة. يقول ابن الأثير مبرزا هذا المعنى :" .... و مما يحتاج إليه الكاتب بعدّه منتجا للخطاب معرفة اللغة ممّا تداول استعماله".[20]

إن الحال التي يكون عليها المخاطِب أثناء الأداء التواصلي، و تميزه بين الخبر، والاستفهام، محصورٌ في الإخبار منه فتنويع هذه الأساليب كلها لها أبعادها التداولية التي يتحكم فيها السياق، و المقام اللغوي، فالمنتج للغة هو الفاعل للكلام وهو أيضا مرتبط بإنجازه الفعل الكلامي، وما يذكر بشأن الفاعل المتكلم لا يستقيم إلا بوجود المخاطب، فقيمة السامع في الدرس النحوي ذات أهمية بالغة و في ذلك يقول ابن فارس في (باب مراتب الكلام في وضوحه ، وإشكاله) : "أما واضح الكلام فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب"[21]، فالجملة الفعلية كما هو مشهور عند النحويين ترتبط بحسن السكوت مع ضمان الفائدة، و ما يحرزه السامع من نفع، و أيضا اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، ومن هنا تكمن وظائف المقاربة التداولية.[22]

8. الفاعل في التراكيب النحوية وسماته التداولية:

يصادف الدارس أثناء تصفحه لمدونة ابن جني اللغوية العديد من النصوص، و المقولات النحوية ذات الأبعاد التداولية، فمثلا يقول : " إن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره، ألا ترى أنك إذا قلت : قام و أخليته من ضمير فإنه لا يتم معناه الذي وضع في الكلام عليه وله؛ لأنه إنّما وضع على أنه يفاد معناه مقترنا بما يسند إليه من الفاعل"[23]. وقد أكّد عبد القاهر هذا البعد التداولي في العديد من مباحث دلائل الإعجاز منها قوله على سبيل التمثيل :"....ومما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى "فَعَلَ" من غير أن يريد إعماله في "اسم "، ولا أن يتفكر في معنى "اسم»" من غير أن يريد إعمال "فعل "فيه، وجعله فاعلا له أو مفعولاً ، أو يريد فيه حكما سوى ذلك من الأحكام"[24].

وقد عرفنا في المباحث النحوية العديد من الخصائص التركيبية، والبنيوية للفاعل في اللغة العربية وسنحاول توضيح بعض السمات التداولية للفاعل حتى نقرّب للقارئ الرؤية من منظور تداولي، ومن منطلق موقعيته كمسند إليه في المحتوى القضوي للفعل الكلامي، وكذا وظيفته الإحالية كأن يأتي على صيغ موقعية مختلفة فقد يأتي مثلا اسما علما، وضميرا، وقد يأتي مفردا و مركبا،كما يأتي اسم إشارة، وقد يقع موصوفا، وغيرها من الخصائص التي يتميز بها كل تلك السمات قد تثري الدرس التداولي من جانبي التنظير والتطبيق، فينتج النص على مجموعة من التأويلات، فالفاعل مثلا كما تذكر مصنفات النحويين" ما أسند الفعل إليه، أو شبهه وقدّم عليه من جهة قيامه به مثل ذلك "قام زيد"، و "زيد أبوه قائم" [25]. فالفاعل إذًا هو الذي يقوم بالحدث حتى تتحقق العلاقة الإسنادية، ويتضح الإعراب في التركيب اللغوي فيكون فيه الفاعل اسما من مبدأ الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ،[26] حيث يجعله النحويون عمدة في الكلام[27]، فهو أي الإعراب عبارة عن إحالة لتلك العلاقة بينه و بين الفعل والمفعول[28]، و تفردُ الفاعل بالرفع إنما هو تمييز للمعاني النحوية كالأسماء المنصوبة والمجرورة، كما يعد الحدث الفعلي في الجملة النحوية عبارة عن أحد الطرفين الذي تقوم عليه العلاقة الإسنادية، ويتم إنشاؤها بمجرد وقوع الفعل بغض النظر عن وقوعه بالسلب أو الإيجاب[29] ، فهو كما تروي كتب النحو " لا يغني واحد عن الآخر، و لا يجد المتكلم منه بدا"[30].

ومما سبق يمكن القول : أن من خصائص الفاعل المعنوية كوظيفته الإسناد وقرائنه التركيبية، والإعرابية تؤدي كلها المعنى النحوي للفاعلية[31]، أما عن توظيف الفاعل و استعماله أثناء الأداء الكلامي، و الإنجاز الفعلي للغة فإنه يضم خصائص استعمالية يشير إليها المتخصصون بالأبعاد التداولية التي قد أشار إليها البلاغيون و النحاة في مصنفاتهم النحوية حيث ربطوا كل ذلك بما يعرف عندهم بالفصاحة حين تعرّض ابن جني معرفا النحو قائلا : " .... ليلحق من ليس من أهل العربية بالفصاحة"، فهي إذا محور الدرس التداولي لتحقيق مبدأ القصدية من الكلام لكي نلمس تلك السمات علينا تفعيل الوظيفة النحوية، و الاستعمالية للفاعل كإجراء تطبيقي، فالفاعل الدلالي هو الذي يدل على الفاعل وهو ما عدّه الباحثون عنصرا توسيعيا يمثله الاسم الظاهر الذي يلحق الجملة بعنصريها الفعل والضمير (الفاعل) سواء أكان من أحرف المضارعة أم مما يلحق الماضي فالاسم المرفوع وظيفته النحوية أنه عنصر توسيعي يصف الفاعل المضمر ويؤكده، فمعناه يقرّب من الضمير المنفصل المسمى عند النحاة بضمير الشأن".[32]

9.الفاعل من رؤية التداوليين:

أجمع النحاة في مصنفاتهم على أن الفاعل علامته الرفع مميّزين بينه و بين المفعول به فقد قالوا :إن الفاعل واحد، و المفعول يعبر على الكثرة[33] ، من هنا فالفاعل أقل استعمالا من المفعول فاختاروا الرفع للقليل كما اختاروا النصب للكثرة فالخفة والثقل لا يميزان إلا أثناء الاستعمال[34] ، من هنا فالفاعل حقه الرفع لأنه أقوى من المفعول فهو الذي يقوم بالفعل لذلك أعطي أقوى الحركات، كما أن الفاعل عمدة في الكلام تتحقق الفائدة به وبالفعل بينما المفعول فضلة، و أيضا الفاعل والفعل هما الركنان الأساس الذي تقوم عليه الجملة الفعلية في التركيب النحوي فعندما نتحدث عن الفاعل لا يمكن الاستغناء عن الفعل، فهما يمثلان المركب الفعلي أو علاقة الإسناد معنوية، فما هي السمة التداولية لهذه العلاقة .

إن الإسناد في التراث اللغوي عبارة عن علاقة معنوية مجردة بين كلمتين تسمى في العرف النحوي المسند و المسند إليه، فهو مفهوم نحوي يختزل الدلالة النحوية التي لها علاقة بالنشاط اللغوي فهذه العلاقة الإسنادية إنما هي مقولات مبثوثة في جميع اللغات البشرية لما لها من استجابة لمختلف الدلالات في الفكر الإنساني[35] ولقد أدرك النحاة الأوائل طبيعة تلك العلاقة المعنوية، و الفروق بين نمط الجملة الفعلية، والاستعمال الفعلي أثناء النشاط التخاطبي[36]، فالمعنى أو المفهوم يوسم بالبنية العميقة، أما البنية السطحية فهي كل الإنجازات الكلامية أثناء التبليغ،أي فهو محور المقاربة التداولية المعاصرة حيث وضع التداوليون فروقا بين مستويين من اللغة حين فرقوا بين مصطلحي" اللسان- الخطاب" تلك الفروقات التي وضعها العالم اللغوي السويسري دي سوسير بين مصطلحي اللسان و الكلام في دراسته الوصفية[37] ، و تذكر وهيبة بوشليق البعد التداولي للفاعل في دراستها للمسند إليه معرّفة الإسناد من منظور غاردنر الذي يقول:" الإسناد يقوم على قول شيء ما عن شيء ما، فإننا يمكن القول: "أن المسند إليه هو الشيء الذي تقول عنه شيء ما، وبعبارة أبسط فإن المسند إليه هو الشيء الذي نتكّلم في شأنه والمسند هو الشيء الذي نقوله في شأنه[38] . وإذا كان الوصفيون ينظرون للغة على أنها نظام من العلامات تؤدي غرض التواصل، فإن التداوليين ينظرون إلى اللغة على أنها بناء للعالم و تأثير فيه[39] .

نستنتج مما سبق أن الفاعل في نظر التداوليين أبعد من أن يقصد به العنصر النحوي الذي يصدر الفعل أو الذي يقوم به لأننا أثناء إنتاج الخطاب نجد أنفسنا أمام فاعل حقيقي، وهو "المتكلم" أو "المعرب المنشئ لعلاقة الإسناد، وأفعالها الكلامية المتنوعة"[40] أي إن الفعل في التراكيب النحوية عبارة عن آلة المتكلم، وأن الفاعل أو المسند إليه هو محرك تلك الآلة ، ففي قولك:

أ-راجَعْتُ الدرسَ

ب-لم أراجعْ الدرْسَ

ج-هل راجعتَ الدرسَ

د-راجعْ الدرسَ

فالحدث في مختلف التراكيب هو العامل في رفع الفاعل، و طبيعة الرفع فرضته الفطرة والسليقة اللغوية سواء قام بالفعل أو لم يقم، بمعنى سواء صدر منه الحكم أم لم يصدر، وقد يحمل الفاعل في منظور سيرل وظيفة الإحالة، ويتضح ذلك من خلال هذه الأمثلة:

يُبذّر الولدُ كثيرًا-

هل يُبذّر الولدُ كثيرا؟

- الولدُ بَذّر كثيرًا-

عَسى أنْ يُبَذّرَ الولدُ كثيرًا،

ففي الأمثلة السابقة حين ينجز المتكلم واحدا من هذه الأحداث، فإنه في الحقيقة قد قام بالعديد من الأعمال الأخرى التي تشترك مع الفعل "بذّر" فالجملة تحمل إحالة واحدة، وهو جزء من عمل لغوي يختلف في كل عبارة أما نوع العمل فيسمى عند التداوليين بالعمل القضوي ، وأي إنجاز مضمن في القول فهو عبارة عن إنجاز فعلي لعمل قضوي، و عمل قولي، أما بخصوص التشكيل النحوي الذي يأتي عليه العمل القضوي فهو عبارة عن أجزاء من الجملة النحوية منها أسماء الأعلام، والضمائر، والموصولات، والمركبات الاسمية الأخرى من منظور اللغوي" سيرل".

10. ما يمكن استنتاجه:

أولا : - يشكل الفعل و الفاعل في الجملة النحوية عمدة الكلام، و هو مبني على مظاهر الإسناد.

ثانيا : - الفاعل عنصر مهم في العملية التخاطبية، يؤدي وظيفة الإخبار عن القائم بالحدث.

ثالثا : - وظيفة الإحالة لها صور، و أشكال في العربية كالعلمية، و المركب الوصفي، والتابعية.

رابعا : - الفاعل في الحقيقة إنما هو أداة يقوم المتكلم باختياره، أما الأداء الفعلي فينجزه الفاعل الحقيقي أثناء عملية التكلم ،

و ما يمكن إضافته في هذا المقام هو أن الفاعل ووضعية الإحالية تعدّ من مضامين المقاربة التداولية التي أشار إليها سيرل في نظرية أفعال الكلام، حيث يرى أن العنصر المحيل هو جزء لا يتجزأ من المحتوى القضوي، وحتى تؤدي الإحالة وظيفتها لابد أن يتحقق فيها التعيين على "أن يكون السامع قادرا على تعيين الشيء انطلاقا من إنجاز المتكلم للعبارة، مبعدا الشك بخصوص الشيء المتحدث، على وجه الدقة"،[41] . أما عن قيمة الإحالة

الدلالية فهي تربط اللغة بالعالم الخارجي. كيف لا؟ وهي مدار مقاصد المتكلمين، وبيان مواقفهم اتجاه العالم الخارجي.

خامسا : يجمع التداوليون على أن المقولات النحوية هي في حقيقة الأمر عوض عن صور الإحالة التي يجملونها فيما يلي أسماء الإشارة، وأسماء الموصول، و الضمائر، وأسماء الأعلام، بمعنى أن المقولات كفيلة بربط العناصر بالمرجع الذي تحيل إليه. و من أمثلته إحالة الفاعل المطلق، و المقيّد، و الفاعل العام و الخاص نحو قولك :

أ-قامَ الطالبُ بتفْسير المسْأَلَةِ .

ب- قَامَ الطَالبً محمد بتَفْسيرِ المَسألَةِ

ج-حَضَرَ الدرْس كل الحضُورِ.

د- لمْ يَحْضُر الدّرْسَ إلّا المديرُ.

من خلال كل ما سبق يتضح للقارئ القيمة التي أولاها الدرس النحوي في التراث العربي للسامع من خلال جملة من الشواهد كمفهوم الكلام، وأقسامه و أنواع الأساليب و غيرها حيث يراعي فيه النحاة السامع المعني بالخطاب، و هذه هي الفلسفة، و المقصد، و المشروع الذي يقوم عليه البعد التداولي في إشارة، و هو المنحى الجمالي الذي أشار إليه ابن فارس حين قال: "... أما واضح الكلام فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب"[42]

11. خاتمة :

إن الفاعل في العربية ظاهرة نحوية تركيبية متنوعة ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق ،وهذا يجعل منه موضوعا ثريا لإعادة توصيفه من منظور تداولي ابتداء من علامته الإعرابية الخاضعة لشروط الاستعمال اللغوي النابع من فصاحة العربية، وهو مستوى لا يتحدد إلا أثناء الاستعمال مع ما للعلاقة الإسنادية من أثر، حيث تختزل كل أبنية الإنجاز اللغوي، وتخرج الفعل بالقوة لتتولد المقاصد، وتتضح التأويلات. فالمسند إليه من هذا المنظور هو جزء رئيس، و مهم من المحتوى القضوي للفعل الكلامي، فهو يتسم بسمات إحالية تخضع لشروط التداولية كضرورة تعيين المتحدث عنه، أو عدم تعيينه حسب ظروف المقام من مبدأ أن العربية غنية بالصيغ التي يأتي عليها الفاعل ليؤدي وظائفه الإحالية.

الهوامش :

[1]شيخة حفناوي - التداولية مفاهيمها و قضاياها ، ،ط1،البدر الساطع للطباعة، الجزائر، 2002 ،ص5،:خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط،1، 2009 ،ص.47.

[2]- حمو الحاج ذهبية، التداوليات وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، المملكة الأردنية،ط1، 2013،ص154،و التداولية مفاهيمها و قضاياها، المرجع السابق،ص7.0

[3]- محمد بولخطوط أصول التداولية في التراث العربي و الغربي، ،مقال مجلة كلية الآداب و اللغات، جامعة جيجل 2022،،ص12.

[4]- ابن جني،الخصائص،314/1. ، عمار لعويجي علاقة البلاغة بالتداولية،: مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مجلة ، كليّة الآداب واللغات، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، مج ،09ع ، **02 25**جوان 2017م، ص248

[5] -ابن منظور.لسان العرب ،مادة بلغ ط1،دار صادر ،د.ت ،419/8-420.

[6]- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، مصر، ط 4 ، 2005م، مادة "بلَغ."

[7]- أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين، تح:ـعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2006م،ص6.

[8]- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة- البيان والمعاني والبديع، ـ: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ،**3 1414** /هـ 1993م، ص . 35

[9]- الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربيّة-ـنحو رؤية جديدة،ـ ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ص105.

[10]- السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط،د.ت، ص . 43 وعلي الجازم ومصطفى الأمين: البلاغة الواضحة)البيان، المعاني، البديع(، دار المعارف، دب، 1999م، ص.140 .

[11]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ـ بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ، 2 2002،ص55

[12]نبيلة بوقرة ،انجازية الفعل الكلامي في كتاب "الأذكياء" لابن الجوزي- مقاربة تداوليّة،ـ مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة ص2018 ، ديسمبر39، ع19، مج01، ص121.

[13]- سيبويه، الكتاب، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،ط1،1988،23/3.

[14]- يوسف سليمان، النحو العربي بين نحو الجملة و نحو النص،ـ مقال من كتاب سيبويه، المجلة الأردنية في اللغة العربية ،عدد2012،1،مجلد 7،ص 185

[15]- زرال صلاح الدين، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع،ـ ط1، منشورات دار الاختلاف، الجزائر،2008، ص436

[16]- أحمدّ المتوكل، الوظيفةّ بين الكلية و النمطية،ـ ط1،دارّ الأمان، الرباط ،2003،ص97..

[17]- دومينيك مونغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ـ ، تر: محمد يحياتن، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، لبنان، ط 2008 1م، ص . 7

[18]- مسعود صحراوي ،التداولية عند علماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،ـ: دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، ط ،1دت، ص .35

[19]- لخداري سعد ،الأنساق البلاغيّة القديمة وموقعها من حقلي السيمياء والخطاب، - مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع ،19ص40،-،و ابن الأثير، المثل السائر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد،ط3،مكتبة بيروت،1،37/1990.

[20]- ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق،37/1.

[21]- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، نقلا عن جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال،ط1،دار غريب ،القاهرة،2000،ص47.

[22]- ابن حني، الخصائص،.2/1 ،و خليفة بوجادي ،في اللسانيات التداولية، ،ط1،مكتبة دار الحكمة،2005،ص225،

[23]- عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ،تحقيق: محمد التناجي،ط**1**، بيروت: دار الكتاب العربي،**1995**.،ص504

[24]- رضي الدين الإستراباذي: ، شر ح الرضي لكافية تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، سلسلة نشر الرسائل الجامعية ط 1، هـ **1993**-م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .201/1.

23- ابن الحاجب، الكافية في النحو ،تح، صالح عبد العظيم ،ط1،مكتبة الآداب ،القاهرة،1984، 213/1.

[25]- المنصف عاشور ،ظاهرة الاسم في التفكير النحوي،: بحث في مقولة الاسم بين التمام والنقصان، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، وتنمية فنون الرسم، تونس، ط ،2015ص، 321

[26]-الرضي ، شرح الكافية، مرجع سابق، 202/1-204،

[27]- ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، بحث في مقولة الاسم بين التمام والنقصان، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، وتنمية فنون الرسم، تونس، ط ،2015. ص324..

[28]- و هيبة بوشليق، ا لفاعل بين السمات النحوية والتداولية في اللغة العربية، ، مقال مجلة العمدة ،المجلد6،العدد2022،2،ص163.

[29]- الكتاب، **1**/ 48.

[30]-- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها:: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 3 ،1994ص.**18**

[31]-أحمد شلتاغ، الفاعل النحوي، و الفاعل القانوني،- م سالم مقال، ،مجلة الإمام كاظم،،العراق،ص234

[32]- أبو الحسن الوراق ، علل النحو، -: ت: محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ،3/2013ص :376،نقلا عن الفاعل بين السمات النحوية ،ص164.

[33]- وهبية بوشليق، الفاعل بين السمات النحوية ،مرجع سابق، ص 164.

[34]- خالد ميلاد ،الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية،:جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1421 ،1هـ-2001م، ص:51،نقلا عن وهيبة بوشليق ،عن الفاعل بين السمات النحوية، ،ص168

[35]- ابن جني، الخصائص ،11/1.

[36]- جاك موشلر ، وآن ريبول ،القاموس الموسوعي للتداولية،- تر: مجموعة من الباحثين، دار سينا ، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط ،2، 2010،ص51.

[37]- جاك موشلر، القاموس الموسوعي ،السابق،ص51،نقلا عن وهيبة بوشليق،ص165.

[38]- العياشي -أدراوي ،الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، - منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ،1 ، 2011، ص. :73،نقلا عن،،وهيبة بوشليق ،الفاعل بين السمات النحوية و التداولية ،ص166

[39]- وهيبة بوشليق، الفاعل بين السمات النحوية، و الدلالية، مرجع سابق،ص167

[40]-وهبية بوشليق، السابق،ص168

[41]- ميلاد خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، مرجع- ، :سابق، ص 55. ، و جون سيرل، الأعمال اللغوية، - ص : **129**وما بعدها. و أحمد المتوكل ،الخطاب وخصائص اللغة العربية: ،ص،150.

[42]- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، و سنن العرب في كلامها، تحقيق، مصطفى الشويمي، دار الطباعة للنشر،لبنان،1963،،ص 74

المصادرو المراجع

1- ابن الأثير ،المثل السائر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد،ط3،مكتبة بيروت،1990،

2- أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ،1 ، 2011، :

3-الإستراباذي - رضي الدين: -شر ح الرضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، سلسلة نشر الرسائل الجامعية ط ،1هـ-**1993**م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

4-الزناد الأزهر، دروس البلاغة العربيّة-ـنحو رؤية جديدة،ـ ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

5-العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين،: تح:ـعلي محمـد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2006م

6-المتوكل أحمدّ ،الوظيفةّ بين الكلية و النمطية،ـ ط1،ـدارّ الأمان، الرباط ـ،2003.

7-المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، مصر، ط 4 ، 2005م، مادة "بلَغ."

8-المنصف عاشور، ظاهرة الاسم في التفكير النحوي،: بحث في مقولة الاسم بين التمام والنقصان، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، وتنمية فنون الرسم، تونس، ط ،2015.

9-الوراق أبو الحسن علل النحو، -: ت: محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 2013.

10-بوجادي خليفة ،، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط،1، 2009 .

11-بوشليق و هيبة، الفاعل بين السمات النحوية والتداولية في اللغة العربية، ، مقال مجلة العمدة المجلد6،العدد2022
12-بوقرة نبيلة انجازية الفعل الكلامي في كتاب "الأذكياء" لابن الجوزي- مقاربة تداوليّة،- مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة ،ص125، ديسمبر39، ع19، مج01 2018.
13-بولخطوط محمد، أصول التداولية في التراث العربي و الغربي، ،مقال مجلة كلية الآداب و اللغات، جامعة جيجل 2022.
14- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار. ط**1**. بيروت: عالم الكتب2015
15-جون سيرل الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، ترجمة أميرة زعيم المركز الوطني للترجمة، تونس ط1، 2015- ص**129 :**
16-حسان تمام ،اللغة العربية معناها ومبناها:: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 3 1994.
17-حفناوي شيخة، التداولية مفاهيمها و قضاياها ، ،ط1،البدر الساطع للطباعة، الجزائر، 2002 ص5،
18-حمو الحاج ذهبية التداوليات وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، المملكة الأردنية،ط1، 2013.
19-زرال صلاح الدين، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع،-ط1، منشورات دار الاختلاف، الجزائر،2008.
20-سليمان -يوسف ،النحو العربي بين نحو الجملة و نحو النص مقال من كتاب سيبويه، المجلة الأردنية في اللغة العربية ،عدد 1، 2012
21-سيبويه، الكتاب،: تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2 ،2009
22-شلتاغ محمد سالم، الفاعل النحوي، و الفاعل القانوني،- مقال، ،مجلة الإمام كاظم،،العراق،

23-صحراوي مسعود، التداولية عند علماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،-: دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، ط ،1، 2010،الجزائر.
24-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ،تحقيق: محمد التناجي.ط**1**. بيروت: دار الكتاب العربي،**1995**..

25-علي الجازم ومصطفى الأمين، البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، دار المعارف، دب، 1999م.

26-ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، و سنن العرب في كلامها، تحقيق، مصطفى الشويمي، دار الطباعة للنشر،لبنان،1963.
27-لخداري سعد، الأنساق البلاغيّة القديمة وموقعها من حقلي السيمياء والخطاب، - مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع ،19.

28-لعويجي عمار ، علاقة البلاغة بالتداولية،: مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مجلة ، كليّة الآداب واللغات، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، مج ،09ع ، **02 25** جوان 2017م.

29-لهاشمي أحمد ،جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيّد تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط،د.ت.
30- مصطفى المراغي ،علوم البلاغة- البيان والمعاني والبديع، - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ،**3 1414** /هـ 1993م

31- موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية،-جاك تر: مجموعة من الباحثين، دار سينا ، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط ،2،، 2010.
32-مونغونو – دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب- ، تر: محمد يحياتن، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2008 م
33-ميلاد خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية،:جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1421 ،1هـ-2001م.